محمّد عصفور

دموع الكبرياء

كمن يحنّ للدموع ،
فتومض الاضواء في عينيه باقاتٍ من الاطياف.
تنحلُّ اشباحاً ، ويسري لونها الشفاف.
في غابة كثيفة تقطنها الاسود
يهجرها الربيع
اكاد استعير ، لولا الكبرياء. ،
عيونَ ميدوزا وشوقَ امّنا حواء ،
اكاد العن التفاح والزيتون والصفصاف.
والكوثرَ الصافي وكأس الماء. ،
والظلَّ والخضراء والينبوع ،
كيما اظل عارياً ،

وجائعاً ،

وظامئاً ،

بلا اخطاء.

كيما اكون مثل مريم العذراء
احمل — دونما خطيئة — يسوع. ،
يحمل — دونما خطيئة — بذور الداء.
ويطعم الجياع من فؤاده بيوم الجوع.
ويحمل الصليب نحو قمة الجبل
يمشي ، ومن ورائه مواكب الابناء.
ترنو بلا امل ،
تشدو بلا امل :
« إلهنا يقتله اليهود.

إلهنا يشقى بنا ، ويبقى الدودْ
ينخر في التفاح والزيتون والصفصافْ
ويأكل الاحفاد والاسلافْ
وغابة الاسودْ » .

لا ، لستُ عيسى ! لا ، ولا العذراءْ !
اذا حملتُ ، انني البغيّ !
اذا صُلبْتُ ، انني الشقيّ !
وان حُرقتُ ، لن اعيش كالخليل
ولن اعود للحياة كالعنقاء .
لست البطلْ
يذكره الرواة كلَّ جيل
حكايةً تسامر الاطفال في المساء .
حكايتي سقوط صخرةٍ من قمة الجبلْ
وجرح كبرياء ،
يريد ان يبكي بلا دموع ،
يضحك حين تغصبه الدموع ،
فان بي غطرسة الطاووسْ
بريشه الزاهي ورأسه المهووسْ
اطلّ منه – للوراء – فوق العالم المنهار
واسمع النواح فوق قمتي ، ورنّة الناقوسْ
ورطنة الشيوخ والرهبان والاحبارْ .
اقول : « من اولئك التجارْ
يقايضون باسم الله سلعة السمسارْ ؟ »
لكنه الكابوسْ
يرفعني بجنح ايكاروسْ
يقذفني في وجه ربّ العالم الجبارْ
اذوب ، اضمحلُّ ، امّحي ، واعرف الخضوعْ
في حضرة القدوسْ .
وتنزل الدموع !